



# تاريخ أوروبا في العصور الوسطى

الفصل

1





## الفصل 1

# تاريخ أوروبا في العصور الوسطى

أطلق العديد من المؤرخين الأوروبيين اصطلاح العصور الوسطى على العصور التاريخية التي عاشتها القارة الأوروبية منذ بداية القرن الرابع للميلاد حتى نهاية القرن الخامس عشر (300 - 1500م)، وقد حاول عدد من المؤرخين تحديد بداية العصور الوسطى بسنة معينة وقعت فيها أحداث تاريخية مهمة: كاعتراف الإمبراطور قسطنطين (272 - 337م) بالمسيحية عام 313م، أو قيام الأخير بنقل العاصمة من روما إلى القسطنطينية<sup>(1)</sup> عام 330م، وهناك من يرى في معركة أدرنة عام 378م<sup>(2)</sup>، وسقوط روما عام 410م، أو انهيار الإمبراطورية الرومانية<sup>(3)</sup> عام 476م نهاية للعصر القديم وبداية العصور الوسطى<sup>(4)</sup>.

في حين يرى آخرون أنّ العصور الوسطى لم تبدأ إلا في عام 1000 ميلادية، ويعطي المختصون تاريخياً مرجعاً له، هو تاريخ تتويج ملك فرنسا هيو كاييه Hugh Copet عام 987م<sup>(5)</sup>.

(1) القسطنطينية: قام الإمبراطور قسطنطين بنقل الكنوز الغنية من العالم اليوناني - الروماني إلى القسطنطينية بالقوة لأجل تجميلها وذلك عام 330م. رون هيلستر، أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة محمد فتحي الشاعر، مكتبة الانجلو المصرية، (د. م. د. ت)، ص 41.

(2) معركة أدرنة: وقعت معركة أدرنة في عام 378م بين القوط (قبائل جرمانية) والإمبراطورية الرومانية، وقد انتهت بانتصار القوط.

(3) وُجدت الإمبراطورية الرومانية في العام 27 ق.م، ولم يكن للإمبراطور داخل الإمبراطورية زياً محدداً. باتريك لورو، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة جورج كتوره، دار الكتاب الجديد، (بيروت، 2008م)، ص 11.

(4) نعيم فرح، الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، ط2، (دمشق، 2000م)، ص 7؛ جفري براون، تاريخ أوروبا الحديث، ترجمة علي المرزوقي، الأهلية للنشر والتوزيع، (عمان، 2006)، ص 21.

(5) جان كلود بارو وغيوم بيغو، التاريخ الكامل للعالم منذ ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا، دار الفارابي، (بيروت، 2008م)، ص 82.

إنَّ تحديد بداية عصر تاريخي أو نهايته بعام معين أمر يكاد يكون مستحيلًا؛ لأنَّ التاريخ وحدة متكاملة لا يمكن تجزئته أو الفصل بين حوادثه، وأنَّ هذه السنوات والأعوام التي تحدد ولادة عصر جديد ونهاية آخر ما هو إلا لتسهيل الأمر على الدارسين من المؤرخين المعنيين، فمن المعروف أنَّ العصور التاريخية متداخلة بعضها مع البعض، فالتحولات التاريخية لا يمكن أن تُحدَّ بحدود زمنيَّة معيَّنة، وإنَّما تحتاج إلى مدد زمنية طويلة قد تصل إلى قرون عديدة، فمعالم العصر السابق قد تظل سائدة في العصر الذي يليه مدة طويلة جدًّا<sup>(1)</sup>.

إنَّ أول من استخدم مصطلح (العصور الوسطى) هم الأدباء الإنسانيون الإيطاليون في القرنين الخامس عشر والسادس عشر للميلاد، ثم شاع المصطلح حتى يومنا هذا<sup>(2)</sup>، وكان هذا المصطلح مشيئًا لهم ومخزيًا، علامة على عصور الجهل والبربرية والجمود التي توسطت في رأيهم ما بين نهاية العصر الكلاسيكي<sup>(3)</sup>، وإحياء التعليم الكلاسيكي<sup>(4)</sup>.

وواقع الأمر، تعدَّ العصور الوسطى من أهم فترات التاريخ الأوروبي، فهي الأساس الذي نستطيع من خلاله فهم التاريخ الحديث لأوروبا عندما ندرس أهم المظاهر التي سجلت في العصور الوسطى<sup>(5)</sup>.

ليست العصور الوسطى عصور تأخر وانحطاط مثلما يظن العديد من الباحثين، وهو وصف لا يمت للحقيقة بأية صلة، ولعل هذه الفكرة تعود إلى الاثر الذي أحدثه انبثاق العصر الحديث بما حمل من نهضة وتقدم في المجالات كافة إلى الحد الذي حجب الماضي عن أعينهم، فكان في نظرهم ظلامًا حالگًا لا نور فيه<sup>(6)</sup>.

ففي العصور الوسطى حدثت العديد من التغييرات المهمة في المجتمع الأوروبي، وأولى هذه التغييرات هي تلك التي حدثت بسبب محاولة رجال العصور الوسطى إصلاح ما أفسدته

(1) فرح، المصدر السابق، ص 7.

(2) المصدر نفسه، ص 10.

(3) العصر الكلاسيكي: حقبة من التاريخ اليوناني تقع ما بين القرن الرابع والخامس قبل الميلاد.

(4) موريس كين، حضارة أوروبا العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبدة قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (د. م، 2007م)، ص 11.

(5) عبد الحميد البطريق وعبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى القرن الثامن عشر، دار

الفكر العربي، (القاهرة، 1997م)، ص 9.

(6) المصدر نفسه، ص 9.

غزوات البرابرة، والعمل على استقرار الأحوال بعد ما حدث من فوضى وإرباك بين صفوف المجتمع الأوروبي آنذاك بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية عام 476م فكان عليهم أن يُخرجوا أوروبا من هذه الفوضى العارمة ليصلوا بها إلى حياة أكثر هدوءًا من ذي قبل<sup>(1)</sup>.

وقد نجحوا في ذلك إلى حد لا بأس به، فقد استقرت الأوضاع، وعاش الإنسان الأوروبي فترة زمنية طويلة امتازت بالأمن والسلام، لكنها لم تكن بمستوى واحد أو متشابهة في مظاهرها على مدى العصور الوسطى، فالفرد الذي عاش في القرن العاشر للميلاد كان أقرب إلى الحياة المدنية من شخص عاش في القرن السابع أو الثامن للميلاد، فقد كان هناك نمو دائم يبشر بحياة مستقلة أرقى منزلة وأعظم تقدمًا، حتى إذا وافي القرن الثاني عشر للميلاد ظهر نشاط ملحوظ في الحياة العلمية، ولو أن هذا النشاط كان محصورًا بين جدران الكنائس والأديرة التي كان لها الفضل في حفظ التراث القديم وصيانتته وتسليم هذا التراث العظيم إلى رجال العصور الحديثة في أوروبا<sup>(2)</sup>.

وفي هذه النقطة بالتحديد كان لجوستاف لوبون (Gustave Le Bon) (1841 - 1931م) المؤرخ الفرنسي الشهير رأيًا آخر عندما ذكر في كتابه "حضارة العرب": «كان الأوروبيون في العصور الوسطى يكتبون على الجلود(الرقوق) لزمن طويل وكان غلاء أسعارها مانعًا من توافر المخطوطات فيها، ونشأ عن ندرتها أن تعود الرهبان حُك كتب كبار المؤلفين من اليونان والرومان ليستبدلوا بها مواظهم الدينية، ولولا العرب لضاع أكثر هذه الكتب الرائعة القديمة التي زعم أنها حفظت في أروقة الأديرة»<sup>(3)</sup>.

وقد حدث في القرن الثاني عشر للميلاد اتصال بين الشرق والغرب، وبدأ عصر الترجمة، إذ ترجمت علوم اليونان عن العرب، وتأثر المجتمع الأوروبي بالفلسفة اليونانية القديمة، إلا أن في تلك المدة من الزمن كانوا يدرسون العلوم على علاقتها كما وردت دون إثباتها علميًا، وهذا هو الفرق بين العقليتين، عقلية العصور الوسطى، والعصور النهضة الأوروبية<sup>(4)</sup>.

فقد رفع المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى شعارًا مفاده: "اعتقد لأفهم"، أما عندما انبثقت عرى عصر النهضة الأوروبية سادت الفكرة القائلة بأنه لا يجوز الاعتقاد في شيء قبل فهمه<sup>(5)</sup>.

(1) المصدر نفسه، ص 9.

(2) المصدر نفسه، ص 9.

(3) جوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، 2010م)، ص 482.

(4) البطريق ونوار، المصدر السابق، ص 10.

(5) المصدر نفسه، ص 10.

## المبحث الأول: مظاهر العصور الوسطى ومراحلها.

كان غرب أوروبا خلاف ما كان عليه شرقها من ازدهار الحضارة البيزنطية وانتشار الحضارة الإسلامية، فكان غرب أوروبا متخلفاً عن ذلك الازدهار الذي شمل جميع نواحي الحياة من زراعة وصناعة وتجارة وعلم وفن وأدب، وإنه لمن الأهمية بمكان إلقاء نظرة سريعة على أهم المظاهر التي ميزت العصور الوسطى من العصور التي سبقتها والعصور التي تلتها، وسنجد هذه المظاهر بالآتي:

- بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية عام 476 م على يد البرابرة بدأت العصور الوسطى بفترة اضطراب وفوضى، ولكن القائمين على الأمر استطاعوا إيجاد أمن وسلام نسبي، وذلك عن طريق إيجاد نوع من الوحدة السياسية الأوروبية مثلما كانت من قبل، لكن لم يحالفها النجاح في ذلك<sup>(1)</sup>.
- كان وجود إمبراطورية عالمية في زمن العصور الوسطى، المتمثلة بالإمبراطورية الرومانية المقدسة<sup>(2)</sup> التي خضعت لها معظم أجزاء أوروبا، ومعنى ذلك أن الفكرة السائدة كانت عالمية لأن فكرة القوميات أو الدولة الوطنية الحديثة Nation state لم تكن معروفة ومفهومة أيام العصور الوسطى، فأصحاب النظريات السياسية في العصور الوسطى يعتقدون أن المسيحية تمثل دولة واحدة يحكمها البابا<sup>(3)</sup> والإمبراطور بتفويض من الله، فالبابا يشرف على الشؤون الدينية، والإمبراطور على الشؤون الدنيوية<sup>(4)</sup>.
- أن تحديد اختصاصات كل من البابا والإمبراطور لا يعني أبداً أن الطرفين لا يمكن أن يتنافسا على السلطة سواء أكانت دينية أم دنيوية أو الاثنين معاً، فسلطات كل منهما لم تكن محددة تحديداً دقيقاً، ومن ثم حاول كل منهما أن تكون له الغلبة في النهاية

(1) عمر عبدالعزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، (الاسكندرية، 1992)، ص3.

(2) الإمبراطورية الرومانية المقدسة: يعد عام 962م بداية الإمبراطورية الرومانية المقدسة عندما نادى بابا روما بـ (أوتو الأول) الألماني كإمبراطور روماني ووضع التاج الإمبراطوري على رأسه. هيلستر، المصدر السابق، ص 150.

(3) كانت كلمة البابا Pope وتعني الأب، تطلق بصفة عامة على جميع الأساقفة، الا انه اقتصر استعمالها فيما بعد على من يشغل الكرسي البابوي في روما دون غيره. محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط2، (بيروت، 1986)، ص 158.

(4) عمر، المصدر السابق، ص 4.

على حساب الآخر، ولقد أضعف هذا التنافس تلك القوتين وكان إيذاناً بانتهاء العصور الوسطى، فكان القرن الحادي عشر للميلاد بداية الصراع بين البابوية والإمبراطورية على المسائل العلمانية، ومحاولة الانفراد بالسلطة<sup>(1)</sup>.

- ومن مظاهر العصور الوسطى محاولة الكنيسة<sup>(2)</sup>، ورجال الدين (الكليروس) السيطرة على عقول الناس في أوروبا، وتحت تأثير ذلك أخذت غالبية الناس تفكر في أن الحياة الدنيا ما هي إلا مرحلة غير مهمة في حياة الإنسان وأن المرحلة المهمة هي الحياة الآخرة، بمعنى آخر أكدوا الجانب الروحي للإنسان بغض النظر عن الجانب الجسدي له<sup>(3)</sup>.

فقد كانت الكنيسة من الفطنة بحيث استغلت منذ بدايتها أثر اللون والموسيقى في المشاعر كإطار لبث عقائدها، وسرد أساطيرها لغزو وجدان الأميين، ولقطع الطريق أمام مخاطر الجدل والمناقشة<sup>(4)</sup>.

وفي الوقت نفسه قامت الكنيسة في العصور الوسطى بإنشاء المدارس في الأديرة لخدمة أغراضها فحسب، فكان يوجد في كل دير مكتبة وعدد من النساخ، ومدرسة لتعليم التلاميذ تعليماً دينياً بحثاً، وكان هذا يعني دخول الغرب الأوروبي في حظيرة الكنيسة الكاثوليكية، وارتباطها بالثقافة اللاتينية، فقد كانت المحاضرات تلقى على الطلبة أيضاً في جامعات العصور الوسطى باللغة اللاتينية بعيداً عن اللغات القومية، وكانت المحاضرة الواحدة تستغرق أحياناً ساعتين أو أكثر دون مبالاة بالراحة البدنية والذهنية للطلاب الذي كان يستمع إلى المحاضرة وهو جالس القرفصاء على أرضية الحجرة المفروشة بالقش<sup>(5)</sup>.

كانت الكنيسة الكاثوليكية تحت زعامة البابوية لها نفوذ وسيطرة عظيمة داخل المجتمع الأوروبي الغربي وكان أثرها واضحاً في السياسة والاقتصاد، وأحرزت بذلك ثروة كبيرة، فالكنيسة

---

(1) جوزيف نسيم يوسف، نشأة الجامعات في العصور الوسطى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت، 1981)، ص 92؛ عمر، المصدر السابق، ص 4.

(2) الكنيسة: استخدم لفظ الكنيسة Church لأول مرة ليعبر عن المجتمع المسيحي في مدينة القدس، وأخذت الكنيسة تنتشر بشكل تدريجي من هناك إلى دمشق وانطاكية ومن ثم إلى مدينة روما. محمد مصطفى الغوج، أوروبا في العصور الوسطى، دار الشعب للطباعة والنشر والتوزيع، (مصر، 2009م)، ص 10.

(3) عمر، المصدر السابق، ص 10.

(4) ثروت عكاشة، فنون عصر النهضة، دار السويدي للنشر والتوزيع والإعلان، ج 9، (أبو ظبي، د.ت)، ص 10.

(5) يوسف، المصدر السابق، ص 39، 148.

في العصور الوسطى كانت بمثابة الدولة أو السلطة المدنية، لأنه لم يكن معترفاً بوجود مجتمع منفصل، فالكنيسة أخذت عن الإمبراطورية الرومانية نظريتها في السلطان المطلق للسلطة العليا وأصبح البابا المصدر الشرعي الوحيد للسلطة على الأرض<sup>(1)</sup>.

أطرت الكنيسة الكاثوليكية من خلال ذلك مفهوم إنكار النفس والذات بإطار لاهوتي يؤكد أن الحياة الآخرة هي الهدف الأساس ولا قيمة أبداً للحياة الدنيا، ولا يحق للإنسان على ما تكتبه وتقره له الكنيسة، وهي بذلك تناقض المبادئ الدينية المؤكدة على الإنسان ودوره في الحياة الدنيا والآخرة على حد سواء، وهكذا لم يكن هناك مجال للفرد لكي يبدع أو يبتكر، بل كانت التقاليد والأعراف السائدة تحطم كل رغبة تهدف إلى تحكيم العقل واتباع المناقشة للوصول إلى الحقيقة<sup>(2)</sup>.

- أما المظهر الخامس للعصور الوسطى فهو الجانب الحربي الذي طبع بطابع ديني عُرف تاريخياً باسم الحروب الصليبية التي انطلقت من الأراضي الفرنسية في عام 1096م، واشتركت فيها مختلف طبقات المجتمع في أوروبا، إما اظهاراً للشجاعة وحباً في القتال أو للدفاع عن مثل دينية عليا، وكان تطور فكرة الحرب المقدسة ونموها في غرب أوروبا من العوامل الرئيسة الممهدة لنشوب الحروب الصليبية، وقد أتاحت هذه الحروب فرصة الاتصال بين الشرق والغرب وأن يتعرف كلا الجانبين على بعضهما البعض، وقد نشأت صلات تجارية بين المتحاربين نتيجة لتعرف الغرب على حاجيات الشرق، وكذلك لرغبة الشرق بمبادلة الغرب بالفائض من منتجاته الزراعية والصناعية، واستفاد من ذلك المماليك في مصر وأهل البندقية (فينيسيا) وظل الحال على ذلك حتى اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح<sup>(3)</sup> في عام 1487م<sup>(4)</sup>.

- ومن أهم المميزات الخاصة للعصور الوسطى هو قيام النظام الإقطاعي الذي نشأ بعوامل ذاتية تحت ضغط الأحداث دون أن تكون له قواعد مرسومة، فكان نظاماً حربياً زراعياً

(1) عمر، المصدر السابق، ص 4 - 5.

(2) محمد مظفر الأدهمي، تاريخ أوروبا الحديث، ط2، (بغداد، 2011)، ص 13.

(3) اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح (جنوب أفريقيا) عندما أرسل الملك البرتغالي في عام 1487م بعثة بحرية برئاسة بارثلمو دياز الذي اكتشف أقصى جنوب القارة الأفريقية، وأطلق عليه اسم (خليج الزوابع)، وعاد بعد عام واحد من رحلته معلناً أن الطريق أصبحت سالكة إلى الهند، فاطلق الملك البرتغالي على ذلك الطريق اسم (رأس الرجاء الصالح) بدلاً من الزوابع. المصدر نفسه، ص 43.

(4) عمر، المصدر السابق، ص6.

اجتماعياً في ظل انعدام الحكم المركزي، وإن وجد هذا الحكم (المركزي) فإنه يكون ضعيفاً، وكان من الطبيعي أن يلجأ من لا يقوى على الدفاع عن نفسه إلى أولئك الذين تمركزوا نوعاً ما في الأرض التي أصبحت مصدر رزق العديد من الناس<sup>(1)</sup>.

### مراحل العصور الوسطى:

لم يسره عالم العصور الوسطى في أوروبا على وتيرة واحدة، ولا يمكننا القول بأن الناس في تلك العصور قد ساروا على نظام واحد، فأحوال الناس كانت تتطور بشكل تدريجي، وتتبدل بمرور الزمن، ومن أجل ذلك قسم عدد من المؤرخين تاريخ العصور الوسطى إلى ثلاث مراحل رئيسية، تتميز الواحدة عن الأخرى بميزات الظروف الزمانية والمكانية وكالاتي<sup>(2)</sup>:

### - المرحلة الأولى (300 - 1000م)

تمتدُّ سبعة قرون تبدأ منذ القرن الرابع للميلاد حتى نهاية القرن العاشر، ففي هذه المرحلة قضى البرابرة الجرمان<sup>(3)</sup> على الإمبراطورية الرومانية في الغرب الأوروبي، وبهذا الحدث الكبير تطوى صفحة التاريخ القديم ويبدأ عصر جديد في تاريخ أوروبا هو العصر الوسيط، لكن بداية هذا العصر كانت سيئة في وسط الفوضى التي أثارها الغزوات البربرية المدمرة في أنحاء الغرب الأوروبي، ويقول أحد المؤرخين بهذا الصدد: «أنه كان في حكم المستحيل أن تحرز الإنسانية أي تقدم في ذلك العهد المضطرب»، وأطلق المؤرخ كير على القرون الأولى فقط من العصور الوسطى اسم (العصور المظلمة)، ويأخذ بهذه التسمية العديد من المؤرخين المعنيين بتاريخ تلك المرحلة من تاريخ أوروبا<sup>(4)</sup>.

ففي المرحلة الأولى من العصور الوسطى انطفأت شعلة الحضارة الرومانية القديمة الزاهرة، إذ حجب نور العلم والمعرفة، وأحاطت بالحياة الفكرية هالة من الظلام الحالك مع بقاء القليل من

(1) المصدر نفسه، ص 6.

(2) فرح، المصدر السابق، ص 11.

(3) كانت القبائل للمباردية الجرمانية هي آخر العناصر التيتونية التي غزت الإمبراطورية الرومانية، واستولوا على وسط إيطاليا وشمالها بعد معارك خاضوها مع الحاميات البيزنطية حتى اطلق فيما بعد اسم لمبارديا على الشمال الإيطالي. فرح، المصدر السابق، ص 34؛ الغوج، المصدر السابق، ص 88.

(4) فرح، المصدر السابق، ص 12.

التراث اللاتيني داخل جدران الكنائس، أبقته الكنيسة الرومانية القديمة خدمةً لأهدافها الدينية فحسب، وعلى الرغم من ذلك البصيص من التراث اللاتيني إلا أنه كان لدى أوروبا عدد لا بأس به من رجال الدين ممن كشفت مؤلفاتهم عن ثقافة ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالمسيحية وفلسفتها، وبالكنيسة وتعاليمها في ذلك العصر المبكر<sup>(1)</sup>.

استمرت حالة الظلام والفوضى طوال القرون الخمسة الأولى من العصور الوسطى، ولكن في بداية القرن الثامن للميلاد ظهرت نهضة فكرية مبكرة متواضعة في أيرلندا وإنجلترا ارتبطت بشخصين هما: بيده (675 - 735م)<sup>(2)</sup> والكوين Alcuin (735 - 804م)<sup>(3)</sup> أكثر من ارتباطها بالعصر، وفي بداية القرن التاسع للميلاد ظهرت نهضة فكرية أخرى ارتبطت بالإمبراطور الكارولنجي شارلمان (768 - 814م) فإنه يعود الفضل في إحياء نهضة علمية شاملة بدءاً من أواخر القرن الثامن للميلاد سُميت باسمه ونسبت إليه، فعرفت باسم النهضة الكارولنجية، فيقول أحد المؤرخين إن أولى جامعات العصور الوسطى المتمثلة بجامعة باريس إنما ترجع أصولها وجذورها إلى تلك النهضة العلمية التي كان الإمبراطور شارلمان رائدها<sup>(5)</sup>، إذ تعدُّ الجامعة من نتاج العصور الوسطى وكانت تسمى في ذلك الوقت بـ«المدرسة العامة»<sup>(6)</sup>.

لكن هذه النهضة أخذت تنحسر شيئاً فشيئاً في عهد خلفاء شارلمان، بسبب انقسام إمبراطوريته إلى ممالك وإمارات متصارعة فيما بينها<sup>(7)</sup>، وعلى الرغم من ذلك كله فقد تمت في المرحلة الأولى من العصور الوسطى (300 - 1000م) عملية انصهار الحضارة الرومانية القديمة وتمازجها مع

(1) المصدر نفسه، ص 12.

(2) يعد بيده من كبار المؤرخين الانجليز في العصور الوسطى، وقد لُقّب بـ(أبو المؤرخين). سعيد عبدالفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1959م)، ص 37.

(3) الكوين: شاعر وكاهن وفيلسوف إنجليزي. ولد في مدينة يورك، وقد استدعاه الإمبراطور شارلمان إلى مدينة آخن الألمانية ليعمل على إحياء الحركة العلمية هناك، ويعد الكوين أحد أبرز المهندسين للنهضة الكارولنجية.

<https://en.wikipedia.org/wiki/Alcuin>

(4) سميت الإمبراطورية الكارولنجية بذلك نسبة إلى شارلمان الذي كان يعرف في حوليات العصور الوسطى باسم كارل العظيم. الغوج، المصدر السابق، ص 155.

(5) يوسف، المصدر السابق، ص 59.

(6) المصدر نفسه، ص 122.

(7) فرج، المصدر السابق، ص 12.

حضارات الشعوب الجرمانية، التي تدفقت على أوروبا الغربية واستوطنت فيها إلى جانب العناصر الرومانية وغيرها من الشعوب القديمة.

### - المرحلة الثانية (1000 - 1300 م) :

وقعت في هذه المرحلة حروب صليبية شنتها أوروبا الغربية بزعامة البابوية على المشرق العربي والإسلامي، وكذلك نما فيها النظام الإقطاعي ونظام الفروسية، وفي القرن الحادي عشر للميلاد بدأ الفكر الأوروبي بالانبلاج، والخروج من دائرة الجمود الفكري المغلقة التي عاش فيها أسيراً قرونًا طوالاً، وكانت النتائج ظهور الفلسفة المدرسية والتفكير الحر<sup>(1)</sup>، فمنذ القرن الحادي عشر والثاني عشر للميلاد ظهرت حركة تعليمية عرفت بـ«الفلسفة المدرسية» تمثلت في مضاعفة عدد مدارس الكنائس التي تمتعت بنوع من الحرية في برامجها الدراسية، وكان من ازدهار هذه المدارس أن تحولت إلى معاهد للتعليم العالي، ولم تلبث أن أطلق عليها اسم «الجامعات»، وقد بدأت هذه الجامعات في الظهور أبان القرن الثاني عشر في إيطاليا أولاً (أطلق الإغريق اسم إيطاليا على إيطاليا وتعني «أرض العجول») ثم في فرنسا، ثم تفرعت من جامعة باريس جامعات في شمال أوروبا وغربها، منها جامعة أكسفورد في إنجلترا ثم انتشرت في سائر أرجاء أوروبا<sup>(2)</sup>.

لكن الكنيسة البابوية في روما وجدت في نهضة القرن الثاني عشر للميلاد الفكرية والمذاهب الفلسفية الجديدة خطراً يهدد كيائها، لذا فقد قاومتها بشتى الوسائل، ووصفت من يخرج عن تعاليمها بالهرطقة فتوقع عليه قرار الحرمان (قطع العلاقة بين المتهم والكنيسة)<sup>(3)</sup>.

### - المرحلة الثالثة (1300 - 1500 م)

أخذت شعوب أوروبا في هذه المرحلة تنظر إلى الملك على أنه رأس الدولة، بعد أن كان رأس الإقطاع، وطالبته بتحديد سلطاته، مما أدى إلى ظهور البرلمان، وأخذت الشعوب الأوروبية تُعنى بأمور دولها القومية، وأُزيحت الأفكار القديمة التي كانت تنظر إلى أوروبا على أنها دولة واحدة يحكمها إمبراطور واحد وكنيسة واحدة تحت حكم البابا، مما أدى إلى استعمال اللغات الوطنية

(1) المصدر نفسه، ص 13.

(2) عبدالعظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم الحديث من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر، 1997م)، ص 55.

(3) فرح، المصدر السابق، ص 13.